# الفصل الرابع
# اليابان وقيم العصر

# اليابانيون هم اليابان !

يقول عالم الاجتماع إزرا.ف. فوجل Ezra F Vogel في كتابة المعجزة اليابانية " رغم أن اليابان لا تملك بعد أكبر ناتج قومي إجمالي في العالم، ولا هي الدولة التي تقود العالم سياسيا أو ثقافيا، إلا أنني كلما لاحظت نجاح اليابان فى شتى المجالات ازددت اقتناعا بأن اليابان – بالنظر إلى مواردها المحدودة – قد تعاملت مع الكثير من المشكلات الأساسية للمجتمع الصناعي المتقدم بشكل أكثر نجاحا من أى دولة أخرى، ومن هنا أصبحت مؤمنا بأن اليابانيين هم رقم واحد ".[1] اليابانيون ظاهرة فريدة بين المجتمعات الإنسانية لتفوقهم، وأول تعلقى بالشعب اليابانى إنما ترجع لجملة إنجليزية ـ مازال عطرها مشعا فى نفسي حتى الآن ـ فى أحد الكتب المدرسية، والجملة تقول " اليابانيون أناس مؤدبون ونشيطون Japanese are polite and active people" والرسالة التى تحملها هذه العبارة هى الإحترام، الإنضباط، تقدير الأخر، ومن ثم فالتقاليد شيء أساسى فى المجتمع اليابانى، وحالة النشاط عندهم تتسم بالجد والصبر والدأب الذى يترجم إلى عمل بناء يرتقى بالمجتمع.

اليابانيون يطورون من أنفسهم بشكل دائم، لأن التطور حالة حركة وإستمرار لأن التطور لا يتوقف، وهناك مرحلتان هامتان فى تاريخ اليابان فى العصر الحديث الأولى مع الإحياء الميجى فى عام 1868،

[1] إزرا.ف. فوجل: المعجزة اليابانية، ترجمة، د. يحيى زكريا، اللف كتاب الثانى (240)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 8.

لتبدأ اليابان تبنى دولة صناعية ترسانات السفن، مصانع الصلب، مصانع الأقطان، السكك الحديدية، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية 1945 حيث تبنت اليابان نظاما ديمقراطيا نادى بحق الإنتخاب وحرية التعبير، والتعددية الثقافية وحق المرأة، فها هي قصيدة تقول

جاء يوم تتحرك فيه الجبال
ولا أحد يصدقنى، أقولها، ولا أحد يصدقنى
نامت الجبال طويلا
ولكن، فى زمان سحيق، كانت كلها ترقص باللهب
لا أحد يصدقنى، ولكن لا بأس
يا أصدقائي، إن كنتم تصدقون
تصحو النساء النائمات جميعا
تصحو الآن، وتتقدم [1]

واليابانيون الآن يحاولون أن يعيدوا صياغة علاقتهم بين الفرد والمجتمع داخل البيئة اليابانية، وعلاقة اليابان مع المجتمع الدولى وفق المتغيرات العالمية، إنها ديمومة التطور.

إننى هنا فى هذا المقال لا أقدم صورة تحليلية للمجتمع اليابانى، وإنما أقدم بعض النماذج المضيئة التى تعين على فهم هذا المجتمع الآخر، الذي حقق انتصارات كبيرة فى فترة زمنية وجيزة أو بمعنى آخر إننى لا أرسم صورة ثنائية أو ثلاثية الأبعاد عن اليابان، وإنما هى محاولة للإقتراب وتحليل وقائع من المجتمع اليابانى تقدم قيمهم التى أتوا بها إلى العصر الحديث الذي يحمل كثيرا من قيم التقدم فى مسيرة التاريخ الإنسانى، هذا

[1] باتريك سميث: اليابان رؤية جديدة، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة 268، الكويت، أبريل 2001، ص 207.

العصر الذي يفرض علينا أن نكون متطورين ومبدعين، وفى نفس الوقت نحافظ على هويتنا وطابعنا الثقافى.

رغم هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية، ورغم إستسلامها إلا أنه تم إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى، وفعلت ما فعلت القنبلة الذرية من دمار إنسانى وبيئى، ولكن هيهات، اليابانيون يتمتعون بروح قتالية فولاذية، إن السر يكمن فى الروح التى يمتلكها اليابانيون من حبهم لبلدهم فهم على إستعداد ليدفعوا بحياتهم دفاعا عن وطنهم، بل إنهم يفضلون الموت عن قبول الهزيمة لوطنهم. يتذكر المخرج اليابانى اكيرا كيروساوا ـ واحد من أهم أعمدة السينما العالمية ـ فى مذكراته عن سنوات الحرب " أغنية كان مطلعها (أبى أنت رجل قوى يا أبى) وهو فى نفس الوقت يرغب فى الحديث عن أمه بأغنية أخرى تقول (أمى أنت شخص غير عادى يا أمى) " [1] إنها القدرة العجيبة على الصبر وعلى التحمل، إنها القدرة العجيبة التى تمتلك الإرادة والعزيمة لتجاوز محنة الواقع.

وإذا إنتقلنا إلى مجال الإقتصاد يقول أحد خبراء الإدارة العالميين " عندما يفشل مشروع إقتصادى فى أوربا تستغنى الإدارة عن العمال، وعندما يفشل مصنع فى اليابان تتغير الإدارة ويبقى العمال..." إنه العمل من أجل بناء إقتصاد قوى، إنها المنافسة والتحدى من أجل التفوق، إنه القرار الذى يدرس من حارس المصنع والعامل ورئيس القسم حتى مجلس الإدارة، ومن ثم فالقرار حكيم وفى موضعه، إن السبب الحقيقى وراء تقدم اليابان هو تكتل اليابانين وإحساسهم أنهم فرد واحد، يسعى إلى صنع دولة قوية

[1] اكيراكوروساوا: ما يشبه السيرة الذاتية، ترجمة فجر يعقوب، منشورات وزارة الثقافة، الفن السابع 16، دمشق، 1996، ص 40.

ذات إقتصاد قوى ينافس الإقتصاد الأوربى والأمريكى، ومن أجل حبهم لوطنهم اليابان، يفنى اليابانى حياته فى العمل، بغض النظر عما يتقاضاه عن عمله هذا، فدقة عملة الشديد، وإخلاصه لما يقوم به من بناء وزراعة وصناعة، كل ذلك يؤدى فى النهاية إلى هدف واحد ألا وهو " دولة غنية متقدمة " وهذا هو هدفهم الأسمى، فإذا ما تحدثنا عن دور الجماعة فى صنع الإقتصاد اليابانى القوى، فهناك كثير من الشركات بدأت برجل واحد وأخذ هذا الرجل يعمل ويكد وينمى تجارته حتى بدأ كيان شركته ينمو ويكبر ويدخل معه الشركات الصغيرة حتى صارت شركة كبيرة، لأن كل صغير إذا ما أصبح كتلة واحدة فى كيان واحد، تضخم وأصبح قوى للغاية، هكذا يؤمن اليابانيون. وبذلك انتشرت مجموعة شركات عملاقة فى جميع أنحاء اليابان بل فى جميع أنحاء العالم وتقوم هذه الشركات بتصدير قطع غيار ومستلزمات مختلفة للصواريخ والأقمار الصناعية ومركبات الفضاء للعديد من وكالات الفضاء، وهى فى نفس الوقت تنتج الأجهزة المختلفة لأغراض الحياة اليومية تليفزيون، كومبيوتر، تليفون، ثلاجة، سيارة،....بل ويصل الأمر إلى المأكولات والمشروبات، إنها ليست شركة وإنما مجموعة شركات صغيرة كونت شركة عملاقة تنتج من الإبرة إلى الصاروخ كما يقال، أمر عجيب، ولكن السبب فى هذا التقدم يكمن فى مفهوم العمل الجماعى لليابانيين وتطبيقهم له بصورة جيدة، إن النجاح أيضا للمؤسسات اليابانية يرتبط بما تم إستحداثه من هياكل إدارية عصرية، وبما تم إبتكاره من برامج وسياسات وآليات عمل واعيه لما تقوم به.

وفى مجال الطفولة حيث التعلم تبدأ الدراسة الشاقة المكثفة التى تهدف إلى بناء جيل يابانى ذكى وقوى ويعتمد عليه فى المستقبل لكى يكمل مسيرة من سبقوه، ولكن لم تنس المدرسة اليابانية أن توفر لهذا الطفل حق اللعب والإستمتاع بطفولته كما تفرض عليه ما يدرسه، فلا تخلو مدرسة يابانية صغيرة كانت أم كبيرة من ملاعب جديدة شاملة كل الألعاب الرياضية ومراكز لتنمية المواهب الصغيرة كالرسم والموسيقى والفنون اليابانية التقليدية القديمة كفن تنسيق الزهور وصنع الشاى اليابانى، وفنون تنمية ذكاء ومهارات الطفل من أحدث أجهزة الكومبيوتر والألعاب الإلكترونية الحديثة، فكما نرى أن كل التكنولوجيا والثورة الصناعية فى اليابان هى لخدمة الطفل اليابانى ولحياة أفضل للأسرة اليابانية.

إن الإهتمام بعالم أخر ينبع من السعى من أجل معرفة نموذج آخر، حضارة آخرى، إن ذلك يعمل على الثراء الحضارى، إن التقابل والتلاقح مع الحضارات الآخرى يصنع إغتناءا حضاريا يفرض نفسه، لأنه من الضرورى أن نواجه أنفسنا بصراحة، ومن الضرورى أيضا أن ندرس القضايا التى تطرحها تلك النجاحات، من هنا يمكن أن نعدل من رؤيتنا للأشياء، ومن معالجتنا للأمور لأنه لابد من تطوير الأفكار والأدوات بحيث تسمح بأفكار تجديدية. وإذا كنا نؤمن بالتفاعل مع الآخر، وإحترام الآخر، فمن الضرورى فى نفس الوقت أن نتعلم منه.

# اليابان وعصر المعرفة

إن الإنسان في مسيرته التاريخية مر بمراحل وأبعاد مختلفة، البعد الأول: كان بعدا رعويا يحاول التعايش مع الطبيعة، وكان البعد الثانى: بعدا زراعيا وكان هدفه اقامة الجسور والشبكات الإجتماعية، وكان البعد الثالث: بعدا صناعيا هدفه إحكام السيطرة على الطبيعة وتكوين مجتمع المدينة الصناعى، أما البعد الرابع: فكان بعدا معرفيا وهدفه اختراق حاجز الزمان والمكان.. ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي الإتصالى الذي سيطر على الثقافة والحضارة الإنسانية ظهر المجتمع اللامكانى Spaceless society.

ومن ثم إن العالم يتغير، ولم تصبح الحدود المكانية والزمانية تتحكم فيه، بل ظهرت مجتمعات معرفية جديدة لاتعترف بتلك الحدود، وذهبت فيما وراء الزمكانية، نتيجة تطور وسائل الإتصالات الإلكترونية، وما يستحدث من تكنولوجيا جديدة، فى عصر المعلوماتية. ومن هنا يبرز سؤال ضرورى وهو ماذا علينا من دور جديد فى هذه المنظومة؟

إن الألفية الثالثة منحنى تاريخى جديد على خريطة التطور الإنسانى، يتضمن هذا المنحنى عديد من المتغيرات: أولا الاكتشافات العلمية، ثانيا الثورة التكنولوجية، ثالثا ثورة الإتصالات، رابعا العولمة، وبالتالى هناك معيارية جديدة للمجتمع، ولا بد لهذه المعيارية من تصور يتفاعل معها. يقول بيل جيتس فى كتابه المعلوماتية بعد الإنترنت " سوف يأتى يوم ،

ليس ببعيد كثيراً ، يصبح بإمكانك فيه أن تدير أعمالك ، وتدرس ، وتستكشف العالم وثقافاته ، وتستدعى على شاشة جهازك أى حفل أو عرض مسرحى كبير ، وتكسب أصدقاء جددا ، وتشهد ما تعرضه أسواق المناطق المجاورة وتعرض الصور على أقاربك المقيمين فى أماكن نائية .. دون أن تترك مكتبك أو كرسيك، ولن تخلف وراءك وصلتك مع الشبكة، في مكتبك أو فى مقعد الدراسة: إذ ستتعدى كونها شيئاً تحمله أو أداة تشتريها، لتصبح جواز مرورك إلى طريقة حياة جديدة قوامها الوسائط." [1] ولكن الواقع الحضاري اليوم صنع متغيرات كثيرة سواء على المستوى السلوكى أو المعرفى أو التقنى، ومن أهم هذه المتغيرات تكنولوجيا المعلومات التى تقوم على الإلكترونيات، والإتصالات والحاسبات الإلكترونية، إن هذا التطور الإلكترونى نتج عنه تقارب واندماج بين أجزاء العالم حتى أصبح قرية عالمية Global Village قائمة على شبكة اتصالات، وهذا بالطبع فرض نفسه على الواقع الثقافي والمعرفي. إن التقدم التكنولوجي يجعلنا نتعامل مع الأشياء بطريقة مختلفة، فمثلا جاءت شبكة الأنترنت Internet لتصبح وسيلة جديدة للتخاطب والحوار بين الأفراد والمؤسسات خارج الوادي الضيق ولكن وعبر القارات، وهذه الطريقة المختلفة تدفعنا الى آفاق إبداعية جديدة نحو المعرفة.

اليابانيون يحبون المعرفة، ويتطلعون إليها بكل عزم وتصميم، إن المجتمع اليابانى يسعى إلى المعرفة بكل قوة وإرادة حقيقية لأن المعرفة جوهر

---

[1] بيل جيتس: المعلوماتية بعد الأنترنت، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة 321، الكويت، 1998، ص 17،18.

التقدم. اليابانيون من الشعوب الشغوفة بالقراءة، ونسبة قراءة الكتب والجرائد والمجلات تمثل من أعلى النسب فى العالم الصناعى، فهم يؤمنون بأن القراءة نافذة على العالم، وعلى الحضارات عبر التاريخ، فهم يرغبون فى التعلم ومعرفة الآخر، وحكى لى صديق حكاية طريفة ـ لكنها ليست بطريفة على اليابانين ـ فى إحدى زياراته لمعرض فرانكفورت الدولى للكتاب، أنه تعرف على شاب يابانى كان يقلب فى الكتب على الأرفف بدقة وتركيز شديدين، ونظرا لأن صديقى أيضا شغوفا بالمعرفة فكان يتنقل فى أماكن مختلفة من المعرض، ولكن بدون ترتيب أو قصد، كان صديقى يجد ذلك الشاب أمامه أينما حل، يتنقل بين الكتب وكأنه نحلة تجمع رهيق الأزهار فى نشاط بالغ، فأثار سلوك اليابانى هذا فضول صديقى، لكى يتعرف عليه ـ وبالطبع لغة المؤتمرات والمعارض الدولية هى اللغة الإنجليزية فقد إستطاع أهلها أن يجعلوا منها لغة عالمية، لأن اللغة تحيا بأهلها ـ وسأله صديقى: هل تسمح لى أن أسألك سؤالا؟ فرد عليه اليابانى بلغة إنجليزية متقنة وبإحساس محايد: نعم. وسأل الصديق: هل أنت كاتب؟ فرد اليابانى: لا. وسأل الصديق: هل هذه هى المرة الأولى التي تحضر إلى ألمانيا؟ ورد الياباني: هذه هى المرة الخامسة. وسأل الصديق: ولكن ماذا تصنع هنا؟ فرد اليابانى: أنا هنا مع أربعة يابانيين، كل منا يجيد أربعة لغات مختلفة، ونحن نتعرف على أهم الكتب والأفكار الموجودة فى المعرض ونعود إلى اليابان ونقدمها للنشء والشباب.

ومن هنا يمكن أن ندرك أن الفرد اليابانى أو المؤسسة اليابانية تعمل على تجميع وتخزين المعلومات سواء كانت هذه المعلومات عامة عن

الموضوع أو معلومات متخصصة عن جانب محدد، والمعلومات تجمع سواء من متخصصين أو من العامة ومن مختلف المصادر مثل الأبحاث الميدانية، المراجع، الكتب ، التليفزيون، الإنترنت، ...المهم أن تجمع المعلومات، والأهم من ذلك أن تكون المعلومات دقيقة وذات طبيعة شمولية، تنظر إلى الموضوع من زوايا متعددة حتى تكون متاحة عند إتخاذ القرار، ونظرا لأن المعلومات والبيانات هى المواد الخام التى تشكل المعرفة فيما بعد، فالمجتمع اليابانى يهتم إهتماما بالغا بالبيانات فى إدارته للمشاريع الكبيرة أو الصغيرة، لأن البيانات والمعلومات تمثل حقائق غير منظمة وغير مرتبة وهى منفصلة عن الهدف العام لسكونها وعدم قدرتها على معالجة الأمور، ولكن عندما ترتب وتنظم وتشكل تلك المعلومات فى إطار معين ووفق منهج منظم تجاه هدف ما، من خلال ذلك يصبح لهذه المعلومات معنى وقيمة، وتصبح معرفة مكونه لمجموعة من الحقائق، ومن هنا " إن عملية صنع القرار فى اليابان عملية ديمقراطية تعاونية تقوم على اساس الاتفاق الجماعى فى الراى، وتستند إلى وجود شبكة معلومات جيدة وعلاقة انسانية متينة " [1] لكى تصل إلى الهدف المنشود.

ومن الصفات الجميلة في اليابانى أنه مهما أوتى من معرفة فى مجال تخصصه فهو يستشعر أنه مازال يتعلم، وأنه ينقصه الكثير لكى يجود ما يقوم به، وكأنه يعمل بالحكمة التى تقول " عش طوال حياتك تلميذا " إنها فلسفة حياة، وعلى الإنسان أن يتعلم بشكل مستمر، ولا يكف عن التعلم مهما طال به العمر ومهما عايش من خبرات، إن اليابانى يعمل منذ فترة طويلة تحت الشعار المعاصر الذى ترفعة كثير من المؤسسات والمنظمات

[1] د. محمد عبد القادر حاتم: الإدارة فى اليابان كيف نستفيد منها.! !، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 29.

الدولية وهو " التربية المستدامة "، لكى تصنع نموا وتفوقا وإبتكارا للناس وللمجتمع، كما أن نشر المعرفة يعتبر واجبا وطنيا نبيلا يجب القيام به.
إن المعرفة فى اليابان تستخدم فى إنتاج التكنولوجيا، وذلك بإدخال التطوير على الأجهزة والمعدات التى ترفع الكفاءة وتوفر العمالة والجهد، وأيضا تحافظ اليابان فى صناعتها على الجودة والذوق الرفيع، آمنت اليابان بإنتاج التكنولوجيا وليس إستهلاك التكنولوجيا، لأن الإنتاج أساس النجاح للحاضر والمستقبل، وأيضا أساس التواجد بقوة فى المنافسات بالسوق العالمية، فقد أدرك اليابانيون أهمية العلاقة بين الإنفتاح والتغير التكنولوجى من ناحية والنمو الإقتصادى من ناحية آخرى من حيث التدفق الحر للسلع ورأس المال والناس والمعرفة، ومن ثم كان هناك دورا رئيسا فى تخطيط نقل التكنولوجيا من الخارج، وذلك بتحديد ما هى التكنولوجيا التى يجب استيرادها، وما مدى ملاءمتها للمجتمع اليابانى، وما هى انسب الأوقات لتطبيقها، مع خلق بيئة مشجعة لهذه التكنولوجيا، ومن النقاط الذكية فى نقل التكنولوجيا هو إستخدام بناء ديناميكى لها، بمعنى أن تساعد على إيجاد تفاعلات تنتج نوعيات آخرى فى مجالات تكنولوجية مختلفة.
إن الفهم للثقافات المختلفة يجعل هناك فهم مختلفا وطرقا وأساليب متنوعة، مما يساهم فى فتح آفاقا جديدة يكون لها عظيم الأثر فى المعلومات المتاحة للمشروع، ولعل أهم ما يميز ثقافة الشرق الأقصى ذلك التقدير والتناسق والتناغم فى الهدف، إنها فلسفة العمل الجماعى التى تؤكد قيمة التعاون.

إن ثورة المعلومات أدت الى أزالة عقبات الزمان والمكان، وبالتالى الى زيادة الأتصال والمعرفة بين مختلف الأفراد فى القرية الكونية، قد تختلف

ثقافة الشعوب وتختلف أيضا التقاليد وقواعد السلوك ومنظومة القيم من بلد لبلد آخر، ولكن تبقى قيمة العمل، وقيمة النهج العلمى، وقيمة المعرفة واحدة فى قدرتها على تطوير منظومة الحياة نحو الأفضل من خلال روح التجدد المعرفي

# جماليات يابانية

تقول د. أميرة حلمى مطر فى كتابها " فلسفة الجمال " " على مدى تاريخ الفلسفة كانت فلسفة الجمال تعنى بالبحث فى مبادىء النقد الفنى والإحساس بالجمال وإبداعه وهي على صلة وثيقة بمبادىء المعرفة...ولما كان لكل قيمة ...معاييرها التى تختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف حاجات الإنسان ورغباته، فقد تعددت فلسفات الجمال واختلفت مذاهبه ومن هنا كان لتاريخ الفكر الجمالى أهميته منذ اليونان حتى العصور الحديثة والمعاصرة" [1]

وعلى ما سبق يمكن أن يكون الشىء الجميل جميلا فى منظره البديع، وقد يكون جميلا فى ملمسه الناعم، وقد يكون جميلا فى تناسب وإتساق أجزائه، وقد يكون جميلا فى صوته الرخيم، جماليات سمعية وجماليات بصرية، ولكن ما أعنيه هنا ليس الجمال السمعى أو البصرى وإنما هو جمال معنوى، إنه جمال القيم الذى يشع على الأشياء فيجعلها تزداد حسنا، كما يجعلها محببة إلى النفس، والقيم الجميلة تجعل الأشياء متقنة، منظمة، ومن سلوكيات الحياة اليومية اليابانية أقتطف لك عزيزى القارىء هذه الأزهار لعلها تكون ذات نفع، ونحاول ان نتعرف عليها ونستفيد من مضمونها أو شكلها أو كليهما معا.

[1] د. أميرة حلمى مطر: فلسفة الجمال، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003، ص 271.

يؤمن اليابانى بأن الوقت قيمة كبرى يجب المحافظة عليه بكل السبل، وإستثماره أفضل إستثمار، لأن الوقت هو الحياة، وهو يؤمن ببيت الشعر العربي الذي يقول: دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني يدرك الياباني أن الوقت لا يمكن تقديره ومعادلته بشيء، لأن الوقت عنصر من العناصر الكونية – التي منحها الله سبحانه للإنسان – ومن ثم يجب أن نستثمره في كل ما هو مفيد وخير. والإنسان إذا لم يستغل وقته في كل ما يفيد وكل ما ينفع وكل ما هو جميل فمعني ذلك انه قد بعثر حياته هباء وبدون فائدة، لأن اليوم لا يمكنه أن يعود مرة أخري، وكذلك الساعة بل والثانية الواحدة لا يمكنها أن تعود مرة أخري. كما أنه لا يمكنك أن تقترض هذه الساعات أو الثواني من أخيك أو صديق لك أو حتى من أعظم البنوك العالمية، لأن كل هؤلاء لا يملكون الوقت، وأنت وحدك الذي يمكنك تنظيم أمر وقتك. يدرك الياباني أنه يملك في كل يوم شيك قيمته 24 ساعة أو 1440 دقيقة أو 86400 ثانية، ومن هنا لا بد أن يكون في يومه جديد، لابد أن يكون في يومه شيء مبتكر، لابد أن يكون فيه شيء نافع له ولأسرته ولمدرسته ولمصنعه ولشركته ولبلده ولكل من يتعامل معهم. يجب أن ينشد الأفضل والأجمل لكي يطور الحياة التي يعيشها، فها هي صناعة الساعات في اليابان تقيس الوقت بأجزاء من الثانية، ومواعيد القطارات التي تقاس أيضا بأجزاء من الثانية، ومواعيد الاجتماعات منضبطة، فمثلا إذا كانت هناك مدة محددة لمقابلة شخصية ما، وانتهي الوقت المخصص لها ـ حتى إذا لم يتم إنهاء الموضوع ـ فإن رئيس الجلسة يتجه بأدب شديد في اتجاه آخر مما يوحي للشخص أن الوقت قد انتهى. ونحن نجد الأديب الياباني شوساكو إندو (1923 –

1996) [1] صاحب روايات " الرجل الأبيض "، " الرجل الأصفر "، " المرأة التي هجرتها " ، " صمت " ، " النهر المقدس " والحاصل علي جائزة اكوتاجاوا اكبر جائزة يابانية في الأدب كان عنده وقت للنوم ووقت للقراءة ووقت لعزف الموسيقي ووقت للتنزه والتفكر ، ووقت للكتابة في كل يوم، إنه النظام واحترام الوقت الذي يجعل الحياة ثرية وغنية وقيمة. إن شابا يابانيا في سباق للدرجات إستطاع أن يفوز بالسباق لاختصاره بعض الثواني، حيث درب نفسه عل فك جزء من صامولة الإطار الكاوتشوك أثناء السباق – قبل وصوله إلى مكان الصيانة للدراجات – والذي يتم أثناء السباق – وبالتالي استفاد من اختصار الزمن، ومن ثم كان الأول، إنه السعي نحو المعرفة.

إن الوقت قيمة كبيرة، فعقارب الساعة لن تعود إلى الوراء، إنها دائما إلى الأمام، لذا كانت الضرورة لوجود الجدول اليومى والأسبوعى والسنوي لما سوف تصنعه. إن الإنسان فى المجتمع اليابانى يفصل بين ذاته الشخصية، وبين آرائه التى يطرحها فى النقاش حول الموضوع الذى يناقشة مع مجموعة العمل، فالإتفاق أو الإختلاف حول الموضوع المطروح لا شأن له بوجهات النظر الشخصية ,إنما التناول يخضع للرؤية الموضوعية والمصلحة العامة، لأن هناك نوع من الناس يعكف على ذاته ويتقوقع داخلها ولا يرى شيئا سواها، ويربط كل الأشياء من خلال ذاته، فالإتفاق فى الآراء مع وجهة نظره هى إتفاق معه، والإختلاف مع رأيه هو إختلاف ضده، دون تبصر لكل أبعاد الموضوع المطروح للمناقشة، وأمام هذه الفئة من البشر الأحاديين تتعذر أمامهم تنوع الرؤى الإنسانية،

[1] شوساكواندو: الصمت، ترجمة، كامل يوسف حسين، روايات الهلال، أبريل 1997.

ويفقدوا الثراء المعرفى لأنهم أحادي النظرة، إن الشخصية اليابانية تجتذب كل الآراء، وتفتح كل النوافذ حول الموضوع المثار لكي تتعرف على التصورات والسيناريوهات المختلفة ثم بعد ذلك تبللور تصورا ورؤية جديدة للموضوع، إنه التنافس نحو الأفضل والأصلح، إنه الإحترام للآخر، ـ وتظل الشخصية على الشاطىء الآخر بعيدة عن أى صراعات حول تحقيق الأفكار ـ إنها ثقافة شعب، إنها ثقافة مجتمع، إنها الموضوعية البعيدة عن العواطف والعصبية والطائفية، إنها الحرية التى تتحرر من النظرة الضيقة، إلى رحابة التعددية المعرفية، بتعدد الآراء والرؤى. إن الشخصية اليابانية تجمع كل وجهات النظر وتدرسها وتستوعبها لكي تخرج برأى جديد مبتكر مغاير لكل الآراء، ولكنه فى نفس الوقت متسق ومنسجم مع القضية المطروحة والمصلحة العامة.

إنها فلسفة النظرية الجشتالتية ـ الشمولية ـ حيث ضرورة الرؤية الكلية واجبه، وأنه لا يمكن رؤية الجزء إلا فى ضوء المجموع، ومن ثم كل ما هو محدود فهو ناقص، وبالتالى لا يمكن تفسير الجزء إلا من خلال الكل. إنها عقلانية تدين الفردية والأنانية، وتحث على الروح الجماعية.

الخوف على الآخر عنصر هام فى سلوك اليابانى، فعندما يستشعر أنه مصاب بنزلة برد، أو حتى على وشك أن يصاب بها، فإنه على الفور يضع على أنفه كمامه بيضاء تباع فى الصيدليات وفى المحلات العامة، وذلك لشعوره بالواجب نحو عدم نقل العدوى للآخرين، لأنه يعلم أن الآخر هو ثروة قومية يجب المحافظة عليها من أجل مزيد من العمل والإنتاج لإنتصار قيمتى الإتقان والجودة.

زهور فى كل مكان أينما ذهبت تجد الأزهار والورود بألوانها الجميلة ورائحتها الأخاذة فى مواجهتك، تحييك وتبتسم لك، إن الإيكيبانا أو فن تنسيق الزهور له دور كبير فى الحياة اليابانية، بل له مدارس كثيرة تقوم بتدريسه بفلسفات مختلفة وطرق ومناهج متعددة، حيث يوجد طريقة كلاسيكية قديمة فى التنسيق، بينما يوجد مدرسة حديثة تعتمد على التلقائية والحرية فى تنسيق الزهور لأنه يجب على كل فرد أن يتذوق ويستشعر الجمال فى كل زهرة ويحاول أن يبتكر تكوينات وعلاقات جديدة بين الزهور فى أشكال غير تقليدية.

فى إيجاز يمكن القول إن التجربة اليابانية في فلسفتها للعمل الجماعى، وتقديرها لقيمة الوقت، وجودة التعليم، وسعيها فى إبتكار وتطبيق التكنولوجيا، وإحترامها لفكر الآخر، وتذوقها للعنصر الجمالى، هى تجربة قابلة للتطبيق من خلال نهج عملى منظم، يتوجه نحو قيم التحديث لمنظومة المجتمع فى الألفية الثالثة.